

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المشؤل
احمد حسن الزيات

بدل الاشتراك هو سنة
٣٠ في مصر والسودان
٥٠ في الممالك الأخرى
١ ثمن العدد الواحد

الادارة

دار الرسالة بشارع المبدولى رقم ٣٤
عابدين - القاهرة
تليفون ٤٢٣٩٠

المجلة

مجلة أسبوعية للتقصص والنايخ

نصدر مؤقنا فى أول كل شهر وفى نصف

السنة الثالثة

١١ صفر سنة ١٣٥٧ - أول إبريل سنة ١٩٣٩

العدد ٥٣

من أحسن القصص



فهرس العدد

—•••••—

٢٨٢	بغلة الموميا		أنصوصة مصرية		بقلم الأستاذ نجيب محفوظ ...
٢٩١	لماذا أبغضت زوى		عن الانجليزية		بقلم الأستاذ عبد الحيد حمدى ...
٣٠٩	السال		لقصصى التشيكى كارل كايك		بقلم الأستاذ ابراهيم حسين المفاد
٣٢٠	يوم الوداع		أنصوصة مصرية		بقلم الأديب عبد الحليم العشيرى
٣٢٦	حاجى بابا أسنهان		لكاتب الانجليزى « جيمز مور »		بقلم الأستاذ عبد العليف النشار

يَقْظُ الْمَوْمِيَاءُ

أَقْصَصُ وَصَّةَ مُصْرِيَّةٍ
بِفَتْحِ الْأَسْتَاذِ نَجِيبٍ مَحْفُوظٍ

الذي خفق فيه قلب مصر خفقة
الحزن والألم ذهبت إلى زيارة النفور
له محمود باشا الأرنؤولى فى قصره
المظيم بصعيد مصر ، وأذكر أنى
وجدت عنده جماعة من الأصدقاء
الذين كانوا يترددون عليه كلما
أسعدتهم الظروف ، منهم السيوسارو

ناظر مدرسة الفنون الجميلة الملياء والدكتور بيير طبيب
الأمراض العقلية ، واحتوانا جميعاً (صالونه) الأنيق
للبيع الحافل بآيات الفن الجميل من لوحات وتماثيل
كانها احتشدت فى تلك البقعة المتنيقة لتؤدى تحية
العبقرية الحديثة إلى ذكرى عبقرية الفراعين الخالدة
الشاوية تحت أطلال الوادى ، يتوهج نورها خلال
ظلمات السنين مثل سنا النجوم المتألقة فى السماء
للسارى فى تضاعيف الليل للبهيم ...

وكان النفور له من أغنى أعيان المصريين
وأوسمهم ثقافة وأسمهم خلقاً ، وقد قال عنه مرة
صديقنا الأستاذ لامبير إنه ثلاث شخصيات تقمصت
زجلاً ، فهو تركى الجنس مصرى الوطن فرنى القلب
والمقل ، فأدى تمريره أتم أداء . والحق أنه كان
أكبر صديق لفرنسا فى الشرق ، وكان يمددا وطنه
الثانى ، وكانت أسعد أيامه تلك التى يعيشها تحت
شماها ، وأخذ أصدقاءه جميعاً من أبنائها سواء منهم
من يعيش على ضفاف النيل أو فى جنات السين .
وكنت أخال نفسى وأنا فى (صالونه) أنى انتقلت فجأة
إلى قلب باريس ، فالأثاث فرنى والجالسون فرنسيون
ولغة الكلام فرنسية والطعام فرنى ، وإن كثيراً
من الفرنسيين الثقفين لا يعرفونه إلا كهافز من

أجد حرجاً كبيراً فى رواية هذه القصة ، لأن
بعض حوادثها يخرق قوانين العقل والطبيعة جميعاً ؛
ولو كان مردها إلى الخيال ما تخرجت ولكنها وقعت
فى عالم الحقيقة ، وكانت نخبتها رجل من رجال
مصر الأفاضل المروفين فى الأوساط السياسية
والارستقراطية ، وراويتها الذى أنقل عنه أستاذ
كبير بالجامعة ، لا يجوز أن يرتقى للشك إلى عقله
أو خلفه ، ولم يعرف عنه قط ميل إلى الأوهام
والخرافات ، ولكنى — والحق يقال — لا أدرى
كيف أصدقها فضلاً عن أن أحمل الآخرين على تصديقها ؛
وليس ذلك لندرة المعجزات فى عصرنا ، فما لاجدال
فيه أن عصرنا عصر المعجزات والحوارق ، ولكن
للعقلاء فى أيامنا هذه لا يقبلون أمراً بغير تعليل ،
كما أنه لا يستصحب شئ على إيمانهم مع التعليل
المقول . وإنى حيال قصة مجيبة لها من دواعى
التصديق راوية حكيم وشواهد ملموسة ، ولكن
للتعليل العلمى ما يزال يتأبى عليها ، فهلا أعذر على
شعورى بالحرج فى تقديمها ؟

ومهما يكن من أمر فإليك ما رواه جناب
البروفسير دريان « أستاذ الآثار العبرية القديمة »
بجامعة فزاد الأول ، قال : فى ذلك اليوم الأسيف

فنظرنا إليه جميعاً نظرة استفهام ودهشة وكأننا لا نصدق آذاننا ، فالواقع أن مجموعة الباشا الفنية كانت تقدر بمئات الألوف من الجنيهات وقد تسربت جميعها إلى جيوب الفرنسيين ، فكان غريباً أن يفكر في إهدائها إلى فرنسا ؛ وكان يحق لنا أن نفرح ونبتهج ولكني لم أعمالك من أن أسأله متمجياً :

— أحقاً ما تقول يا أ كسلنس ؟

فقال الباشا بهدوء :

— نعم يا صديقي دريان ... ولم لا ... ؟

فقال الميوسارو :

— ياله من حظ سعيد حقيق باغتباطنا هو

للفرنسيين ، ولكني أقول لسماذتك مخلصاً إنني أخشى أن يسبب لك متاعب كثيرة ...

وقلت للباشا مؤمناً على رأي الميوسارو :

— نعم يا باشا هذا ما أعتقد أنه أيضاً

فردد الرجل عينيه الزرقاوين بيننا وقد لاحظت فيهما نظرة ساخرة وسألنا متجاهلين :

— وله ... ؟

فقلت بلا تردد :

— ستجد للصحافة في ذلك موضوعاً أي

موضوعاً

وقال الدكتور بير :

— وما من شك في أن الصحافة الوطنية عدو

لك قديم ... وهل نسيت يا صاحب المال حملاتها المفضة عليك واتهاماتها إياك بأنك تبذر أموال

الفلاح في فرنسا بلا حساب ؟

فصاح الباشا بإنكار :

— أموال الفلاح !

فبادر الدكتور بقول مستندراً :

هواة للفنون الجميلة أو كشاهم بقرض للشعر الوجداني الجليل بالفرنسية ، أما أنا فقد حرفته — إلى هذا — بحكم لغزنا متمصباً لثقافتها وداعية لسياستها ... أخذت مجلسي في ذلك اليوم إلى جانب الباشا وكان الميوسارو يقول وهو يتأمل بينيه الواسعتين الجاحظتين تحالاً نصفياً برزياً لا نشتين :

— إن قصرك هذا يا صاحب المعادة يحتاج

إلى تغيير طفيف لكي يصير متحفاً كاملاً

وقال الدكتور بير مؤمناً على كلامه وهو يتخلل

لحيته بأفامله :

— صدقت فهو ممرض دائم لجميع اللبقرات

والمدارس على السواء مع ميل ظاهر للفنانين الفرنسيين فقال الباشا :

— للفضل في ذلك يرجع إلى ذوق المتذلل

الذي يساوي بين النزعات المختلفة ويمدل بين أهواء

المدارس ، ويهوى تذوق الجمال سواء أ كان

بديمه براكتيلس أو رافائيل أو سيزان . مع استثناء

البدم الحديثة المتطرفة ...

فقلت ، ناظراً بطرف خفي إلى الميوسارو وكان

يحاولي دائماً أن أداعبه :

— لو استطاعت وزارة المعارف أن تنقل هذا

الصالون إلى مدرسة للفنون الجميلة الملياً لاستغنت

عن إرسال بمئات إلى فرنسا وإيطاليا ...

فضحك الميوسارو وقال موجهاً الخطاب إلى :

— بل لعلها تستغني عن ناظر المدرسة الفرنسي

أيضاً ...

ولكن الباشا قال جاداً :

— إطمئن يا عزيزي سارو ، فانه إذا قدر على

هذا التحف أن يترك للمعيد فسيأخذ طريقه رأساً

إلى باريس

— منذرة يا باشا ... هذا قولهم !

فهز سعادته منكبيه استهانة وزم شفثيه احتقاراً وقال وهو يثبت نظارته الذهبية على عينيه :

— أنا لا آبه لهذه الأصوات المنكرة الوضعية ،

وما دام ضميري الفنى لا يرتاح لابقاء هذه الآيات

وسط هذا الشعب الحيوانى قلن تقبر هنا أبداً

وكننت أعرف رأى صديقى الباشا عن المصريين

واحتقاره لهم . وبما يحكى فى هذا الصدد أنه تقدم له

منذ عام طبيب مصرى فابنة حاصل على رتبة البكوية

طالباً يد ابنته فطرده شر طرد لأنه فلاح ابن فلاح .

على أنى — مع موافقتى على كثير من التهم التى

يكيلها الباشا لبنى وطنه — لم أكن أتبعه فى رأيه

إلى النهاية ، ولذا قلت له : سعادتك شديد النقد

نقده الباشا ضاحكاً وقال :

— أنت يا عزيزى دريان رجل وهبت حياتك

الثمينة للماضى البعيد ، وربما لاحت لك فى غيابه

لع عبقرية خلقها للقدماء لا تفتأ توظف عطفك

وحبتك على أحفادهم ولكن شتان ما بين الفراعين

والفلاحين ، لا يجوز أن تنسى باصديقى أن المصريين

شعب قول ...

فضحكت وقالت له :

— عفواً يا صاحب السعادة ، ألا تعلم أن السير

ما كنزى أستاذ آداب اللغة الانجليزية بكلية الآداب

صرخ أخيراً بأنه أصبح يفضل الفول على البودنج ؟

فضحك الباشا ، ونحك الحاضرون جميعاً

وقال سعادته :

— أنت تفهم ما أعنى ولكنك تحب المزاح ،

المصريون حيوانات أليفة طبعها الله ، وخلقها

للتذلل ، وقد عاشوا عبيداً على قنات موائد الحاكمين

منذ آلاف السنين ، ومثل هؤلاء لا يحق لهم أن

بأسفوا على إهداء هذا المتحف إلى باريس ...

فقال السيو سارو :

— نحن لا نتكلم عما يحق أو لا يحق ، ولكن

عن الواقع والواقع أنهم سياسفون (ثم قال بلهجة

ذات منزى) وستأسف معهم محققهم ... »

ولكن لم يبد هل الباشا أدنى اكتراث ، وكان

بطبعه يتعالى على ضجيج الجماهير وصرخات الصحف

المفتعلة ، وربما كان لأسفه التركي دخل كبير

فى تشبته بأرائه وعناده واحتقاره للمصريين . ولم يرد

أن نسترسل فى ذلك الحديث فأغلق بلباقته النادرة

بابه ، وانشغلنا ساعة باحتساء القهوة للفرنسية اللذيذة

للتى لم أذق مثلها فى مصر ، ثم نظر الباشا إلى باهتمام

وقال :

— ألا تعلم يا مسيو دريان أنى بدأت أنافسك

فى اكتشاف الكنوز ؟

ف نظرت إليه مستفهماً وسألته :

— ماذا تعنى يا أ كسلنس ؟

فضحك الباشا وقال وهو يشير إلى حديقة

للقصير من نافذة الصالون

— على بعد أذرع منا تجرى عملية حفر جليلة

للشأن فى حديقة قصرى !

فبدأ علينا الاهتمام جميعاً ، وتوقفت سماع خبر

مثير ، وكان لكامة حفر تأثير خاص فى نفسى ،

لأنى قضيت شطراً كبيراً من عمرى — قبل أن

أشتغل فى الجامعة — أحفر وأنقب فى أرض مصر

للغنية الساحرة

وقال الباشا وهو ما يزال ينتهم :

— أرجو ألا تسخروا منى يا سادة ، فقد عملت

— أحقاً ما تقول يا سيدي الأستاذ؟

قلت :

— نعم يا باشا ، لقد داني يوماً شيخ مثل الشيخ جاد الله على بقعة من الأرض في وادي اللوك وقال لي : إنه استدل بكتبه وعلمه على وجود كنز فيها ، فضربنا فيها بماولنا ولم نلبث أياماً حتى اكتشفنا مقبرة قنا ... وهذا ولا شك من عبقریات المصادقات

فضحك الله كنور بيير وقال منهما :

— ولماذا تمل ذلك بالمصادقات فتجحد فضل العلم القديم ؟ ... ألا يجوز أن الفراعنة يورثون أحفادهم أسرارهم الخفية كما يورثونهم سحتهم وكثيراً من تقاليدهم ؟

ومضينا نتفكك بأمثال هذا الحديث وطرقتنا غيره أحاديث كثيرة ، ومضى الوقت لذيذاً ممتناً ، وعند الأصيل استأذن للضيوف في الانصراف ، وأما أنا فأعلنت عن رغبتى في مشاهدة عملية الحفر التى يجريها الشيخ جاد الله ، وغادرتنا جميعاً الصالون إلى الحديقة وسرنا إلى الباب الخارجى لتوديع الأصدقاء ، ولم نكد نقطع خطوات حتى وصلت إلى مسامعنا نغمة عظيمة واعتضت طريقنا جماعة من الخدم رأيناهم بمسكون بتلابيب سبيدى وبوسعون ضراباً ولسكاً ، ثم ساقوه بشدة إلى سعادة الباشا وقال له أحدم :

— يا صاحب السعادة ضبطنا هذا اللص وهو يسرق طعام يمينش

و كنت أعرف يمينش حق المعرفة ، فهو كاب الباشا المميز وآثر مخلوقات الله بقلبه بمد زوجه وأولاده ، وهو يمينش في قصر الباشا منما مكرماً ، يقوم على خدمته خدم وحشم ، ويكشف عليه طبيب

ما كان يفضله اللوك الأندسون مع السحرة والشموذين ولا أدري كيف رضخت وأذعنت ؛ ولكن لا دأى الأسف قليل من الخرافة يريح العقل للكاف بالحقائق والعلوم. وبجل الحكاية أنه جاء قصرى منذ يومين رجل معروف في هذا البلد يدعى الشيخ جاد الله ، يحترمه العامة ويقدمونه ، وكم ذا بمصر من القديسين ، وألح في طلبى وأذنت له وأنا أعجب لشأنه ، وحيانى الرجل على طريقته وبشرنى بأنه استدل بملء الروحاني وكتبه للقديمة على وجود كنز مخفى في باطن حديقتى ، وطلب إلى بتوسل أن آذن له في الكشف عنه تحت إشرافى ، ومنانى بالذهب واللاآت في مقابل أن أعده بالملوان ، وضقت به ومحت بطرده ولكنه ضرع إلى وتوسل حتى استمير وقال لي : لا نهزأ بعلم الله ولا نستهن ببياده المقربين. فضحكت طويلاً ، ثم خطر لى خاطر سريع فقلت لنفسى لماذا لا أجارى الرجل فى وهمه وأسأره على اعتقاده ؟ لن أخسر شيئاً وسأفوز حتماً بنوع من التسلية ، وقد فعلت يا أصدقائى ، وأذنت للرجل ، وأنا أنظاهر بالجد ، وما هو ذا يحفر فى حديقتى ويماونه فى عمله للشاق اثنان من خدي المؤمنين ، فما رأيكم ؟

قال ذلك للباشا وضحك عالياً ، فضحك الجميع ، أما أنا ففكرت بى الدأكرة إلى الماضى إلى حادثة مشابهة قلت : « طيبى أنكم لا تؤمنون بعلم الشيخ جاد الله ، ولا أنا أستطيع أن أؤمن به والأسفاه ، ولكنى لا أستطيع كذلك أن أنسى أنى اكتشفت قبر الكاهن قنا بفضل خرافة كهذه »

فبدت الدهشة على وجوه الحاضرين وسألنى الباشا :

الأربة في المقاطف وبلقونها جانباً ، وكان الشيخ جادا ، تلمع عيناه ويريق حاد يدل على اللزم والأمل ، وتنبعث في ساعديه التحيلين قوة غير طبيعية ، كأنه يدنو حقاً من هدفه الذي هداه إلى سبيله عمله الإلهي ، فتمثل لي في شخصه المعبود الإنسان بنشاطه ، وإيمانه وأوهامه ، والحن أننا نخلق لأنفسنا آلهة وأوهاما ولكننا نؤمن بها إيماناً حميماً ، فيخلق لنا إيماننا عوالم غاية في البداعة والجمال ، ألم يخلق أجداد الشيخ جاد الله — الذي يذكرني وجهه بتمثال للكتاب المروف — الحضارة الأولى للإنسان ؟ .. ألم يبدعوا الجمال على سطح الأرض وفي بطنها على السواء ؟ ... أو لم يستوحوا في عملهم وتفكيرهم أودوريس وآمون ؟ ... وما أودوريس وآمون ؟ .. لا شيء في الغالب ... أما حضارتهم فكانت شيئاً وأي شيء ... بل هي أم حضارتنا الراهنة ...

وقفنا نشاهد للشيخ المؤمن ، أما الباشا فيتسم ابتسامة ساخرة ، وأما أنا فاستغرق في أحلامي ، وكلانا لا بدري بما يجتثه له القدر تحت آكام ذلك التراب ، وكان العمل يبدو عقياً فتعملل الباشا واقترح على أن نجلس في الفراندا فاتبعت صامتاً ، ولكننا لم نكد نصعد السلام الأولى حتى لحق بنا الشيخ جاد الله عدوا وصاح بضمه الثرم :

« مولاي ... مولاي ... تعال انظر ... »

فالتفتنا إليه بحركة أتوماتيكية ، وكان قلبي يخفق خفقاناً غريباً على أثر نداء الشيخ وذكرني بشبيهه له قديم كان يفصل في حياتي بين الفشل والنجاح واليأس والأمل ، وهبطنا السلم دون إبطاء لأن الرجل كان قد عاد أدراجه ، وتبعناه وكلانا بفالب رغبة في المدو ...

يطرى مرة كل شهر ، ويقدم له كل يوم لحم وعظام ولبن وثريد ، ولم تكن هذه أول مرة يسطو فيها للصائدة على غذاء يميمش ... وكان السارق صعيداً قحاً ، يتميز بالسحنة المصرية المتبقية ، ويسدو على هيئته الرثة البؤس والفقر ، وقد حدجه الباشا بنظرة قاسية وقال له بنف : —

كيف سولت لك نفسك انتهالك حرمة بيتي ؟ فقال الرجل بتوسل وهو يلهث من أثر الجهد الذي بذله في مقاومة الخدم :

كنت جائعاً يا صاحب السعادة ورأيت اللحم السلوق مبعثراً على الحشائش فخافتنى قوتي ولم أكن ذقت اللحم منذ عيد الأضحى ! فالتفت الباشا إلى وقال هازئاً :

— أرايت للفرق بين بائسنا وبائسكم ؟ ... إن بائسكم دفعه الجوع إلى سرقة رغيف ، أما بائسنا فالرغيف ليس عسيراً عليه ، ولكنه لا يرضى إلا باللحم السلوق

— ثم التفت مرة أخرى إلى السارق ورفع عصاه وضربه على كتفه بشدة وصاح بالخدم :

— خذوه إلى الخفير ... وضحك الدكتور بيير وهو يسل وقال للباشا : — ماذا تفعل غداً إذا شم للصائدة رائحة الذهب المكس في كنز الشيخ جاد الله ؟ فقال الباشا فوراً :

— سأحيطه بسياج من الخفراء كخط ماجينو . وعدنا — أنا والباشا — وتبعته صامتاً إلى حيث يشتغل للشيخ جاد الله الذي يوشك أن يصير أثراً عظيماً ، وكان الرجل منهمكاً في عمله هو ومعاوناه ، بضربون الأرض بفؤوسهم ويرقون

فناد الشيخ يقول :

— فتح الكنز عمل عسير ، فهذا الباب لا يطبع
ويرسخ إلا بقراءة طويلة أبدأها الآن وأستغرق فيها
حتى مطلع الفجر ... هل أنتم مطهرون ؟
وتأثر بأقواله الخادمان ونظروا إلى مولاهما بارتباك
لأنهما اعتقدا أنهما على وشك الثول في حضرة القوة
الخطية ، ولم يكن في الوقت متسع للتطهر والقراءة
فقلت للشيخ بحزم :

— إننا لم نبلغ هذا الباب بقراءة فينبى أن
نقتحمه بمثل ما اقتحمنا الذي قبله ...

وم الشيخ أن يمترض ولكن لم يجده اعتراضه
وانتهر الباشا فصمت وهو يرمقني شرراً واستأنفوا
العمل من جديد ، وتيقظت غريزتي فعملت معهم ،
حتى أزيحت المقبة الكؤود ، ووجدنا أمامنا منفذاً
إلى منوى حوز الأبدى ...

وكنت خبيراً بتلك الأحوال ، فأمرتهم أن
يتريثوا في أما كنهم وقتاً قصيراً ديثاً يتجدد الهواء ،
وكانت ساعة انتظار شديدة الوقع علينا جميعاً ، وكان
لباشا صامتاً ذاهلاً كمن هوى في حلم عجيب ، وكان الخادمان
ينظران بعينين ساهمتين إلى الرجل الذي يؤمنان به ،
وكان الشيخ يحملني تيمناً ما قد يحدث لاسنهاتي
برأيه ، أما أنا فكنت أحلم بما عسى أن يقع عليه
بصري ، وساءلت نفسي ترى هل من المستطاع أن
أفوز بتحفة أثرية أزين بها عقد متحفنا الخالد في
باريس ... ؟

ثم دخلت ، ودخل خافي الأردأ ووطى باشا ثم
الشيخ جاد الله ، وآثر الخادمان أن يلبثا في الدهليز
الخارجي فلما اختفى عنهما نور المصباح وأظلم السكان
اندفعا إلى الداخل وانكشأ في ركن ، وكانت ججيرة
تأبوت كما يدل مظهرها ، وقد شاهدت أمثالها مرات

ووجدنا الرجال الثلاثة يزحزحون صخرة
كبيرة ، ساحتها متر مربع على وجه التقريب ،
قد انما منهم قرأنا الصخرة نكشف من فوهة في مثل
انصاعها ، فتطرت إلى الباشا ، ونظر إلى بسنيين
تنطلقان بالدهشة والدهول ، ثم نظرنا إلى داخل
الفوهة فرأينا سلماً قصيراً ينتهي إلى دهليز يتجه
إلى الداخل موازياً لسطح الأرض ، وكانت الشمس
تؤذن بالنوب فقلت للباشا « إلينا بمصباح » فأرسل
الباشا أحد الخادمين لاحتضار مصباح ، وعاد الرجل
بالمصباح فأمرته أن يتقدمنا ، ولكنه تردد وانكش
فهممت بأخذه منه ، ولكن كان للشيخ جاد الله
أمرع مني إليه فأمسك به بيده ومضى يتلو من
القرآن وتماويز غريبة ثم زل بقدمين ثابتتين فتبعته
وتبمنى الخادمان المضطربان ...

ووجدنا أنفسنا في دهليز مستطيل لا يتجاوز
طوله عشرة أمتار ، ويلا سقفه عن هامتنا بمدة
أشبار ، وكانت أرضه متربة أما جدرانها فن الجرانيت
وتقدمنا جميعاً في خطوات بطيئة حتى اعترض
سبيلنا باب حجري بأخذ على المفتحين طريقهم ،
ولم يكن منظره غريباً على ولا الرموز المحفورة
في وسطه ، فجري بصري عليها ثم التفت إلى الباشا
وقلت بصوت منهدج :

— لقد اكتشفت يا صاحب المصادرة مقبرة
أثرية ... فيها هنا يرقد للقائد حور من عظام الأسرة
الثامنة عشرة

ولكن الشيخ جاد الله قال بمنف وغضب :

— بل وراء هذا الباب كنز ... هكذا يقول
الكتاب الذي لا يكذب

فهزرت كتفي قائلاً : « سمه كيف شئت ،
الهم أن نفتحه ... »

— رأيت عصفوراً آبرف يجناحه فوق التابوت
فالتفتنا إلى التابوت ولكننا لم نر شيئاً وكان من
البعث أن نسال الخادمين قتل الشيخ :
— دعنا من أوهاملك يا شيخ جاد الله
ثم ضحكنا وقلت للباشا بالفرنسية :
— عسى أن يكون العصفور روح الميت (ك)
جاء لزيارته معنا ...

ثم عدت إلى مطالعة المصناديق والجدران التي
تحدث قلبي بلغة صامتة لا يميها سوى ، ولكني لم
أستطع للتأمل بتاتاً لأناسمنا الخادمين بصيحات بذر :
— يا - مادة الباشا !

فالتفتنا إليهما بسرعة وقد امتلأت غيظاً وحنقاً
ولكني شاهدتهما في حالة غريبة من الرعب ، وقد
التصق كل منهما بصاحبه ، واتسمت هيناهما وجعلتنا
وأرسلنا نظرة صلبة جامدة مينة إلى ناحية التابوت ،
وتصالب الشيخ جاد الله في وقفته ويده قابضة على
المصباح وعيناه لا تتحولان عن نفس الهدف ...
فنظرت إلى التابوت وقد نسيت غضبي ... فرأيت
غطاءه مرفوعاً والمومياء ممددة أمامنا في لغائفها ... !
ما هذا ... كيف فتح للتابوت ؟ ... هل أثر
في إقامتي للطويلة في الشرق فندت عيني تتأثر إلى
هذا الحد الضحك بأوهامه وسحره ؟ ...

ولكن أي سحر هناك ؟ ... إنني أرى المومياء
أمامي ، ولست الوحيد الذي يراها ، فما هو ذا الباشا
قد تحول إلى نمثال ، وهام الرجال الثلاثة يكادون
يموتون من فرط الملح والدهر ... فأى وهم هذا ؟
والحق أنني أحس بالخجل كلما اضطررتي للظروف
إلى سرد ما حدث بعد ذلك ، لأنني أحدث في العادة
ألمساً قتلث متقنين درسوا تيودور ولبني برول وود كيم
ولكن ما حياتي ؟ ... إن ديكارت نفسه لو كان

عديدة ، وكان التابوت موضوعاً في مكانه وعلى غطاءه
صورة ذهبية لصاحبه وإلى جانبه تقوم ثلاثة تماثيل
بالحجم الطبيعي أحدها الرجل - من المرجح أنه حور
نفسه - والآخر لامرأة يستدل من وضعا إلى جانبه
أنها زوجته ، وأمامها نمثال صغير لفلان ، وفي الناحية
المقابلة وضعت صناديق منقطة وآنية ملونة ومقاعد
ومناشد وعدد حربية ، وكانت الجدران ملأى
بالرسوم والنقوش والرموز ...

ألقيت نظرة سريعة مفعمة بالروعة على ذلك العالم
المبعوث ولكن الباشا لم يدعني لتأملاني فقال لي ولم
أكن أعلم أنها آخر أقواله في هذه الدنيا :

— الأوفى يا أستاذ دريان أن نباع الأسر إلى
الحكومة في الحال ...

فأحسست بخيبة أمل وقلت :

— انتظر قليلاً يا باشا ريثما أنى نظرة مجلى ...
ودنوت من المصناديق والأثاث والباشا يسير
إلى يميني ومضيت أخصها بعين خبيرة مشوقة ،
ونفسي محدثني بفتحها ومشاهدة ما بداخلها ، وكنت
أومن بأنها تحوى طعاماً وثياباً وحلياً ولكن أنى
أنتى أن يملك إرادته حيال تلك المخلفات الجليلة التي
تستحوذ على منبض النأثر من قلبي ووجداني ...
ثم لا تنس التابوت والتماثيل والمومياء ... يا لها من
مفاتيح ... !

وقطع على تأملاتي أن سمعت صوت الشيخ
جاد الله القبيح وهو يهتف « هش » فالتفت إليه
مزججاً منفضاً لأن أقل همسة آتت كانت تنير أعصابي
ولكن للشيخ قال لي بيلاهة « عصفور ! »
فأنهرته قائلاً :

— أى عصفور يا شيخ ... أهذا وقت هزل ؟
فقال الرجل :

في مكانى تلك الساعة ما أتمته الشجاعة على الهزم
بحواسه ...

ماذا رأيت ؟

رأيت للمومياء تتحرك وتقع في التابوت في
حركة خفيفة لا يقدر عليها الخمور أو الثقل بالنوم
فضلا عن البعوث من عالم الأموات ، ثم قفزت قفزة
غاية في الرشاقة وانتصبت قبالتنا أمام التابوت ...
و كنت مولباً ظهري الخادمين والشيخ جاد الله
فلم أر ما حل بهم ولكن ارتماش النور الذي يضي
الحجرة دل على كهرة اليد التي تمسك به ، و كنت
في حالة يتمذروصفها ، وأعترف بأن مفاصل تفككت
من الرعب الذي لا يوصف ، وذهرت ذهراً لم أحس
بمثله في حياتي على الإطلاق ، ولا تكاد تذكر إلى
جانبه أهوال الأيام الشديدة التي قضيتها في الجبهة
الشرقية ومعركة الماردن ...

يا للعجب ! ... ألم تكن حبال مومياء ؟ ...
أو حبال جثة ردت إليها الحياة بطريقة خفية ؟ ...
أو أمام قائد مصرى كان يرتجف هولاً وخشوعاً
إذا اجتاز عقبة القصر الفرعوني ؟ ... ولكن هل
كان من الممكن أن يخالج نفسى في تلك الساعة فكر
من هذه الأفكار ؟ ... بل هب أنه خالجهما فهل كان
يستطيع أن يهذى من رعبها شيئاً ؟ ... فزعت
فزعاً قاتلاً ... على أن عيني استطاعت أن تريا
كما استطاعت ذاكرتى أن تحفظ ما رأت عيناى ..
ولم أجد أمامى مومياء بل رجلاً حياً كامل
الرجولة والحياة ، وكانت هيئته تذكر بشك للصور
التي نرى بكثرة على جدران المابد ، فكان يرتدى
ثوباً أبيض ووزرة قصيرة ويمطى رأسه الكبير
بقلمسوة أنيقة ، ويملى صدره للمريض بنياشين
كثيرة زاهية وكان مهيباً رهيباً متعالياً ، ولكنى
بالرغم من جلاله خيل إلى أنى رأيته من قبل وذكرت

بالفعل العميدى الذى ساقه الخدم إلى الباشا وأتهموه
بسرقه غذاء الكلب ييميش ، كان شهباً غريباً
ولكنه اقتصصر على الطول واللون والفسات دون
الروح والحياة ، ولولا ما كان يبدى المائل أمامى من
النبل والتعالى لربما خالجتى شكوك ...

وكان يمدج الباشا بنظرة قاسية لا يحولها عنه
كأنه لا يرى سواه ...

ماذا أقول يا سادة ؟ ... لقد سمعته يتكلم ...
أى والله لقد تكلم حور بمد أن سمعت ثلاثة آلاف
من الستين ، وتكلم بتلك اللغة القديمة التي طواها
الموت منذ آلاف الستين .. وسوف أنسى كل شيء
في دنيائى قبل أن أنسى كلمة واحدة مما نطق به
لسانه ...

قال لصديقى الباشا السيسى الحظ بصوت لم أسمع
مثله جللاً لأنى لم أشرف بمد بمخاطبة الملوك

— ألا تترفعى أيها المبد ... ؟ لماذا لا تبحثو
ساجداً بين يدى ... ؟

ولم أسمع للباشا صوتاً ولا استطاع بصري أن
يتحول إليه ، ولكنى سمعت العظيم ذا الصوت العظيم
يقول مرة أخرى :

— لم أشعر بقهر أسر الموت إلا حين شاهدت
روحي هذه المعجائب التي تحدث في الدنيا وأنا مقيد
بأسفاد الأبدية لا أستطيع حراكاً ، ولم أقدر أن
أذهب إليك لأن حياتى انتهت كما قضى أوزوريس ...
ولكنك سمعت إلى بقدميك ... وإنى لأعجب كيف
سولت لك نفسك هذا الفعل الأحمق ... أبلغ بك
البطر الجنون ... ؟ ألا تحمد الآلهة أن حالت بينى
وبينك بالموت ... ؟ ماذا جئت تفعل أيها المبد ... ؟
ألم يقنمك أن تنهب أبنائى فأنتيت تنهب قبرى ... ؟
تكلم أيها المبد ...

ولكن أنى للمسكين أن يتكلم ... إنه لا يبقه

بقنّة كأنّي أتقى ضربة قاتلة لا أدري من أين تقع
على رأسي ، وحلقت في الظلام وأنا أتفرض فرقا
وذهرأ ، ثم خارت قواي ، وشاء حظي الحسن أن
أفقد شعوري وأغيب عن العالمين ...

سادتي ... إنه لثأني على أوقات بصيبي فيها
ذهول ونحاصرتني شكوك فأسائل نفسي مرثيا : هل
كان حقاً ما رأيت أم كان وهماً ؟ ... وربما ملت
أحياناً إلى تكذيب نفسي ، ولكني كلما أميل إلى
الشك تصدمني حقائق لا قبل لي بها ... فاقولكم
مثلاً في شهادة الشيخ جاد الله وهو حي برزق
ويستطيع أن يعيد لكم ما حكيت ؟ ... وما قولكم
في جنون الخادمين التمسين ... ومقبرة حور ...
والقصر الهجور ؟ ... بل ما قولكم في حادثة موت
المغفور له محمّد باشا الأرنؤوطي التي ما يزال يذكرها
جميع قراء الصحف ويعجبون لها أشدّ العجب ... ؟
يجيب محفوظ

صدر كتاب

قافلة الأيام

مجموع من القصص المصرية الحديثة

تأليف

عبد اللطيف الحكيم

يباع بخمسة قروش بجميع المكتبات بالعالم العربي
وبمكتبة النهضة المصرية

شيئاً ... ولا يبدي حراكاً ... لقد دبت الحياة في
المومياء ... وفارقت قلب الباشا الحي
أما المومياء فمادت تقول :

مالك لا تتكلم ؟ ... ألسنتُ حور ؟ ... ألسنتُ
عبدى شفق ؟ ... ألا تذكر أني جئت بك من الشمال
في إحدى الغزوات للظافرة ؟ ... أنتجاهلني
أيها العبد ؟ ... إن جلدك الأبيض الذي يرمز إلى
المبودية يفضحك مهما تنكرت .. ما هذه اللابس
المضحكة التي ترتديها ؟ .. وما هذه الأبهة الكاذبة
التي نخنتي وراءها ؟

وظن حور أن الباشا لا يرد أن يتكلم فانتفخت
أوداجه وتقطعت جبينه وصاح غاضباً :

— ما الذي دهاك ؟ ما الذي دهمي الأرض فجعل
أعزتها أدلة وأذلها أعزة ، وخفض للسادة عبيداً
ورفع للعبيد سادة ؟ كيف تمكك أيها العبد هذا القصر
ويعمل أبنائي فيه خدماً ؟ أين التقاليد المتوارثة
والتقوانين المقدسة ؟ ما هذا المبت ؟

واشتد الغضب بحور فاستحالت عيناه جريئتين
يتطاير منهما الشرر وصاح بصوت كالرعد :

« كيف تتجاسر على ابني أيها العبد ؟ لقد سمعته
الدل بقساوة دلت على المبودية التي تنفض بها نفسك
ضربته بمصاك لأنه جائع ودفعت إخوته إلى ضربه
أيجوع في مصر أبنائها ؟ الويل لك أيها العبد ...
ولم يكذبك بنم كلامه حتى تقدم نحو الباشا ضحيراً
كأسد هصور يهم بفريسته

ولكن الباشا التمس لم ينتظره ، لأنه كان قد
فقد قوة الاحتمال ، فسقط على الأرض لا حراك به
وكان تهدد حور قد أشاع في الحجرة رهباً جديداً
أتى على البقية الباقية من التماسك في النفوس ،
فألبث للشيخ جاد الله أن سقط على وجهه وسقط
معه الصباح فانطفأ نوره وساد للظلام ، وانكشفت